ومن ثمرات جناني ، فأي مما يشتهي الفؤاد أن تتقدم بما عندك من زاد ، إن لم يكن اليوم شهياً فقد يمسي رطباً جنياً ، أرأيت إلى عيد الحيد كيف تنقل مع الما طر بدأ حتى صار طائراً غريداً ؟ ومعمر في حياة المكتوبين مئة : فهذا معمري عجم عود الدهر ، وأكسبه اليوم والشهر ، زاد كالقادة بصيرة وقادة وقريحة نقادة . بير المكتوبين من أصحاب المذهب الذقيس والمطوقين في باريس .

لو أسندت اليه أمور مهمة ومشاكل معضلة لكان أنفذ من سهم في مسالك وأقمن أن يعبر البحر إلى ساحل جيده - آمون - ونفسه تتاف لدون ، وما هو بنعمة ربه بمجنون ، ولكنه في بلاد العجائب والعجب .

يتساءل الناس عنه من أين حضر وكم من الشهادات استحضر ؟ فإن وجدوا جراباً ، فارغاً وهل له ركن يعول عليه ، وملجأ يلجأ إليه ، حتى يقدم عند امتحاناته ولا يبرم ، بآلامه ، وهو لا تحترم عبقريته . ولا فكرته وروحه إن لم يكن ساعب كبت وكبت . أو رب بيت أو محل امل وليت ؟ إنه قانط والقنوط حليفه وناقم والنقمة أليفه . لا يتذكر بلاده إلا ، بالحزن وسامها الحزن . يغوب أسفاً كلما رأى فتاً من أسعد الناس حظاً ، ورأى الرؤساء يزوغون أمام النبوغ ، وإن فريقان مزعج الأركان مهدم البنيان ، ورأى اضطراب الحال لا يختلف فيه اثنان :

ولربما رجح الخسيس من الحصى ... بالدر عند تراجح الميزان

عبد الفتاح المصري

عيد الضحية والفداء

يتألق تاج التضحية والفداء مساء[1] على رؤوس المجاهدين والشهداء في اليوم الأغر الأبلج ، يوم العيد الأكبر : فتحسسوا رؤوسكم ، وسائر رؤوسكم : أمن بالتاج خافقون ، وبشرف التضحية جديرون ؟ !

يوم أكبرته العرب في الجاهلية ، وكرمه الإسلام عما خفاه ، وجعله كأسا دهاقا يشرب منه المسلمون أطايب القربة والتضحية : أليس الإسلام « ملة أبيكم إبراهيم » هو سماكم المسلمين من قبل ؟ ! فرحى أيها العيد مرحى !

فيه تقدم سيد المضحين إبراهيم ابن تارخ[2] وقد بلغ من الكبر عتيا ، بولده وفلذة

---

(١) كل سنة (٢) والضمير لإبراهيم والد آزر

كبشه المعبل . تقدم به إلى التضحية العظمى « فلما بلغ معه السعى، قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى : قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » ! ! !

عظمته تهزأ بالحياة وما فى الحياة ! فأعظم بإبراهيم واسمعيل . . .

ابتلاء « تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » . .

لا يقل متفيهق [1] : ماله يبالغ هذه المبالغة والصحف تزخر كل يوم بأنباء « المنتحرين » ؟ . على رسلك أيها الواهم المغرور ! فما كان الانتحار يوما بطولة ، بل خطة مرذولة ، إذ لم يكد يعتر بهؤلاء جزع [2] العاثر حتى سئموا الحياة فتركوها فرارا من أمل القلب أنفا . . حطموا شجرتهم خيفة الزعازع والأعاصير . . وهذا منتهى الجبن والفساد وإن لبسوا ثوب البطولة فى غير جهاد ! أين هذا من زهرة النبوة فوق شجرة الرسالة ؟ : تضحية الحياة مرضاة لواهب الحياة . هذه هى الذروة العليا للتضحية ، فأعظم بإبراهيم واسمعيل . . .

خذ بيدك غلاما . وقل له « يابنى إنى أريد أن أضربك عصا » . . ألا يكون مخالفا عصيا ؟ يستجيد المارة ، ويملأ الجو صراخا ! ولكن اسمعيل بن ابراهيم وكفى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » كاد أن يتحطم فرع النبوة لولا رحمة ربك « وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . وفديناه بذبح عظيم » . .

التضحيه فى غير من ولا مين . . [3]

التضحية بأعز ما لدى الانسان : هى الثمرة الناضجة لشجرة الرجولة إذا رويت بماء البطولة . . هى قيم الحياة على حقيقتها . . : هى طريق الخلود !

إن المضحين الخيرة هم أبطال التاريخ . . وإنهم ليعيشون آلاف السنين بينما الجبناء لا يعيشون غير عشرات من سنين . .

أنت إنسانا بهذا الجسد الذى تلبسه وتمعن فى ترفيهه من أثر الجروح والأمراض التى تعمل فيه — بل إنسانيتك بما بين جنبيك من قلب عظيم أو حقير . . وليس قدرك بما أودت [4] من مال أوجاه . . . بل بما تقدمه لنفسك ولأمتك التى تنمو فتصير « طائفة » ثم تكبر فتصير « أمة » ثم تعظم فتصير « إنسانية » من خير أو شر . .

فاذا كنت هينا على نفسك متهينا — عند الحاجة — « بنوبك » الذى يتلف نفسك

---

(١) مدع فقه بالامور (٢) مظهم (٣) وكذب (٤) ملكيته

فأنت أهون على التاريخ أن يمحك كلمة واحدة : فكم من الملايين عاشوا وماتوا لم يحس بهم التاريخ ولم يسمع لهم ركزا (١) . .

ومن الناس من يحسب التضحية سلعة لها ثمنها ، فإذا ما أعطاه الزمن عنها مغبونا ! ! ألا إن التضحية لذة لا ثمن لها إلا راحة الضمير بتأدية الواجب !

ومنهم من يحسب التضحية ضربا من الخوض ، وينهم أن قوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » معناه لا تعملوا لأنفسكم ودينكم وبلادكم ما يعود بالضرر على أجسادكم ! ! ليس هذا . . وإلا فقيم قوله تعالى « يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال » ! ! بل خضوع المرء واستسلامه يقتل فيه الرجولة وهو التهلكة الذريعة : وإن مسخ الأنسانية لأشد إخلا ء من حز الرقاب لأولى الألباب !

ولقلة (٢) التضحية تصير أبطالا أو تظهر رجالا . . فالنفوس الصغيرة تفنت من ذاتها أما النفوس الكبيرة فتخرج مثلا لتة دورها . .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

متى تجب التضحية ؟ وفي أي ظرف تكون ؟ !

سؤال لابد من الأجابة عليه ، فقد ظن المتحرون أنهم يتاجر التضحية جديرون . . وظن بعض الناس أن التضحية بالكرامة أو الرجولة كلها في سبيل « العيش » لا مأخذ عليها ولا معدن فيها : أليس حب البقاء غريزة في كل ذي روح ؟ !

للتضحية معايير ومقاييس ، وظروف ومناسبات : فبينما هي يسيرة هينة لا تعدو نعيما للجسد ، أو إنفاقا لبعض المال في سبيل الجامعة . . إذا بمجراها ترتفع ، وإذا هي أجمل للآلام المريرة في سبيل الكرامة . . ثم إذا بها تعدل إلى التضحية بالحياة إذا تغالب الدين أو الوطن منك التضحية بالحياة : ولا عجب فالوطن هو الدنيا . . والدين هو الآخرة ! ! .

لهذا إذا دقت أجراس الكرامة استيقظ الرجال . . وإذا نادى الوطن هبوا . . وإذا أذن الدين لبوا . . فهذا وقت الأقدام وظرف التضحية ! !

أما أولئك الذين (يضحون) بكرامتهم في سبيل المادة ، أو يهدرون رجولتهم إبقاء في زعمهم — على المنصب الأجوف والجاه المزيف . . والذين (يضحون) بشرفهم ومالهم في سبيل أحط الغرائز ، فقد فسدت لديهم المعايير وكسدت سوق التضحية . . ليست مقاييس التضحية نزوات الرءوس وشهوات النفوس : بل نبالة المقاصد وشرف المبادىء والمثل العليا .

محمد عيسى مرسى

نائب البحيرة وعضو الاتحاد ، ومعروف بمدونة في سبيل الاذاعة بالبر

(١) سواء ذهبا (٢) إذ يغلب فيه الذهب والمعادن النفيسة من الاخلاط .